جسر الحضارة

" لقد امتلكنا نحن الإغريق مصر، مملكة الأدب

والنبل العظيمة، أصل كل تراثنا وشرائعنا "

(جيوردانو برونو)
من كتاب "أثينا السوداء"

بعد انتقال (عيسى بن مريم) وجد معتنقو الديانة الجديدة أنفسهم أمام خيارين، أولهما أن يبقوا جماعة دينية داخل إطار العقيدة اليهودية، وثانيهما أن ينفصلوا عن الدين القديم ذي الإطار الضيق، آملين الانطلاق إلى رحاب العالم الواسع، فيصير هناك خطاب مسيحي للناس جميعاً، غير مقتصر على بني إسرائيل فحسب.

فكان أن نشأ صراع بين إتجاهين، أو جماعتين، أولهما كانت مجموعة الحواريين الملتزمة بتعاليم الديانة اليهودية وطقوسها، وكانت هذه الجماعة تمثل أغلبية الكنيسة حتى عام ٧٠ م، على حد قول (موريس بوكاي) [١]، أما المجموعة الأخرى فكانت تحت قيادة (بولس)، الذي كان عقد العزم على الانسلاخ تماماً عن عقيدة اليهود فلعب أبرز دور في تاريخ تطور الديانة المسيحية، واحتدم الصراع حتى وصل إلى حد الصدام، مما دعا إلى عقد "مجمع الرسل" في القدس عام ٥٠م. [٢]، وخلاله تم حسم النزاع لصالح (بولس) وجماعته.

وأصبح على هذه الجماعة طرح فكرها أمام العالم، فلم تجد سوى باب الفلسفة، حلاً وحيداً يسمح بجواز أفكار العقيدة الجديدة.

وصار على المسيحية أن تمزج أفكارها الدينية بالفكر الفلسفي، ولم يكن سوى (الإسكندرية)، معملاً عالمياً تتم فيه عملية المزج هذه، وهناك كانت تسود الفلسفة الأفلاطونية التي صار لها – فيما بعد – أعظم الأثر على الفكر اللاهوتي المسيحي.

وكانت (الإسكندرية)، منذ تأسيسها، قد ارتبطت بالعلوم وخاصة الفلسفة، تلك التي يعود تاريخ نشأتها إلى عصر الفيلسوف الإغريقي (طاليس) [٦٢٤ - ٥٤٦ ق. م] رائد هذه الحركة الفكرية التي عرفت فيما بعد بالفلسفة.

كان أهم ما قال (طاليس) هو : " أن الماء الأصل، وأنه هو المبدأ الأول ". وهي فكرة الخلق التي آمن بها المصريون، وانتشرت في عدة مراكز دينية مصرية.

ولم يكن غريباً أن يتأثر(طاليس) بالأفكار المصرية، وهو الذي زار مصر، حيث درس هناك علم المساحة. وقد بلغت الفلسفة (اليونانية) أوج تألقها الفكري على يد فلاسفة عظام مثل (سقراط) و(أفلاطون) ثم (أرسطو)، هذا الفيلسوف الذي استدعاه الملك المقدوني (فيليب) إلى بلاطه ليقوم على تربية ابنه (الإسكندر)، مما كان له أكبر الأثر على توجه الأمير الصغير ودفعه إلى الإهتمام بالعلم والأدب[٣].

وقد كانت (مقدونيا) دولة مستقلة، تقع شمال غرب اليونان، وكان (الإسكندر الأول) أول ملوكها [٤٩٦ ق. م]، ثم حكم البلاد ملك يدعى (مونثاث الثاني)، خلفه على عرش مقدونيا ثلاثة من أبنائه، هم (الإسكندر الثاني) و(برديقاس) و(فيليب). وقد استطاع الأخير اغتصاب العرش لنفسه.

وكان (فيليب) قد وضع نصب عينيه هدفين، أولهما وضع بلاد اليونان – كلها – تحت قيادته، وثانيهما كان القضاء على عدوه اللدود المتمثل في الفرس.

واستطاع (فيليب) تحقيق جزءٍ من طموحاته، إلا أن القدر لم يمهله لبلوغ جميع أهدافه، إذ تم قتله، فخلفه ابنه (الإسكندر الثالث) – الذي عُرف فيما بعد بـ(الإسكندر الأكبر) – في حكم بلاد اليونان عام ٣٣٦ ق. م، وسرعان ما خرج الملك الجديد على رأس جيش أبيه لمحاربة الفرس، فقهرهم، ثم مضى خلفهم إلى سوريا، ثم زحف إلى مصر، ودخلها عام ٣٣٢ ق. م، حيث استقبله أهلها مرحبين ؛ لما رأوا فيه مخلّصاً من استعمار الفرس البغيض لبلادهم.

ومنح المصريون (الإسكندر) الألقاب الرسمية التي كان يحملها الفرعون المصري ؛ "حورس" و "ملك الأرضين" و"ابن رع"[٤].

أما هو نفسه فكان يحمل كل الإجلال للديانة المصرية، وهو ما نستطيع رؤيته حتى اليوم على جدران قدس أقداس معبد (الأقصر)– على سبيل المثال – إذ يقف (الإسكندر) كفرعون مصري في خشوع أمام الآلهة المصرية، وهو الذي قد بادر بالذهاب إلى معبد "آمون" بواحة (سيوة)، ليباركه الإله المصري، ويحصل منه على شرعية حكمه، وكان كهنة مصر قد رأوا أن يكرموا الملك

العظيم، فجعلوه – على طريقتهم – ابناً للحضارة المصرية، إذ رووا أن الإله "آمون" قد حل في صورة آخر فراعنة مصر، الملك (نقطنبو الثاني)، الذي انهزم أمام الفرس، فمضى إلى (مقدونيا) وهناك التقى (أولمبيا) – أم (الإسكندر) – وأنجب منها هذا الابن البار. وهكذا حمل (الإسكندر) لقب "ابن آمون"، ونودي به في البلاد المصرية ملكاً عليها[٥].

وكان (الإسكندر) – قبل زيارته لمعبد "آمون" بـ(سيوة) – قد حرص على رؤية جزيرة (فاروس) وبحيرة (مريوط)، اللتين تغنى بهما الشاعر الإغريقي (هوميروس) [٦]، وأثناء ذلك لفت نظر الرجل العظيم قرية صيادين صغيرة تدعى (راقودة)، فعقد عزمه على إنشاء عاصمة له في موقع هذه القرية، فكلف مهندسه (دينوقراطيس) ببناء هذه المدينة، التي عُرفت فيما بعد باسم (الإسكندرية).

ومات (الإسكندر الأكبر) قبل أن يرى مدينته العظيمة وقد صارت كعبة العلم، ومركز إشعاع ثقافي وحضاري غمر نوره العالم أجمع.

وصار خلفاء (الإسكندر)، الذين عُرفوا بالبطالمة [٣٢٢ – ٣٠ ق. م]، يبذلون جهدهم ومالهم لتأكيد دور (الإسكندرية)، التي احتضنت العلماء والفلاسفة، فقد أنشأ (بطليموس الأول) [٣٠٥ – ٢٨٥ ق.م]، أول حكام الإغريق لمصر، ما يسمي بالمتحف (Musion)، وكان يدرس فيه العلوم الطبيعية والفلك والرياضيات. وقد تمتعت هذه المؤسسة الثقافية بدعم الملوك البطالمة، حتى أن رئيسها كان يُعين من قبل الملك شخصياً.

أما مكتبتها فقد نالت شهرة عظيمة، لم تحظ بها أية مكتبة أخرى في تاريخ الإنسانية، وكانت هذه المكتبة تحتوي على حوالي ٥٠٠٠٠٠ كتاب.

ومن المعروف أنه قد تم ترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية لأول مرة في مكتبة (الإسكندرية) [٧].

ومما يروى عن الاهتمام بالحصول على الكتب العلمية في هذا العصر، أن جميع السفن التي كانت تمر بالبلاد كان يتم تفتيشها، فإذا عُثر في إحداها على

كتاب جديد ؛ كان يتم نسخه وإعطاء النسخة إلى صاحب الكتاب، بينما يضم الكتاب إلى مجموعة الكتب بمكتبة (الإسكندرية).

ولكن للأسف فقد تعرضت هذه المكتبة لحريق مدمر عام ٢٧٢ م، على يد الإمبراطور الروماني (أورليان)، وكذلك دُمرت المكتبة الصغرى إبان العصر المسيحي في القرن الرابع الميلادي[٨].

وقد ظلت (الإسكندرية)، بعد احتلال الرومان لها عام ٣٠ ق. م، تتمتع بمكانتها الرائدة في الإمبراطورية الرومانية. وقد تميزت (الإسكندرية) باحتضانها للمدارس الفلسفية المختلفة.

فقد " كانت (الإسكندرية) في هذا الميدان صاحبة الكعب العالي"، كما يقول د. (رأفت عبد الحميد)، الذي يضيف أيضاً ".. على حد قول (مانجو) ؛ كانت (الإسكندرية) أكبر مركز جامعي في الإمبراطورية اليونانية، يفد إليها طلاب العلم والدارسون الوثنيون والمسيحيون على السواء "[٩].

قُدِّر إذن للـ(إسكندرية) أن تكون نقطة التقاء بين الفلسفة اليونانية وبين المسيحية، الدين الوليد، الذي أخذ يتحسس خطاه على طريق جديد اختار أن يشقه لنفسه، وكان من الطبيعي والمنطقي أن يتأثر المسيحيون حينذاك بـ(فيلون)، ذلك الفيلسوف السكندري اليهودي، الذي كان قد تأثر بدوره بالثقافة الشرقية والثقافة الغربية الوافدة، وعمل على مزجها بعضها ببعض، وبالرغم من استيعابه لتلك الثقافات ؛ إلا أن (فيلون) ظل على إيمانه العميق بدينه، كما ظل يقدم الدين على العقل، بل إنه كان يفسر الدين تفسيراً فلسفياً، واتبع منهج يهود (الإسكندرية)، الذين كانوا يفسرون التوراة تفسيراً رمزياً[١٠].

وكان (فيلون) قد تأثر كثيراً بالفيلسوف اليوناني الكبير (أفلاطون)، ويظهر أثر ذلك بجلاء في فكر هذا الفيلسوف السكندري اليهودي، حين يقول بوجود عالمين أحدهما "عالم معقول" والأخر "عالم محسوس"[١١]. أما العالم المعقول فقد خلقه الله من عدم، أو دون مادة سابقة، بمعنى أنه ولده كمل يلد العقل أفكاره. أما العالم المحسوس فقد نشأ عن مادة سابقة وبفعل واسطة بين الله والمادة[١٢].

وعن هذه الواسطة يقول د. (رأفت عبد الحميد) : " قوة سائدة في جميع الموجودات، من شأنها أن تربط بين الأجزاء المختلفة للوجود، وهذه القوة هي "الكلمة" أو "اللوجوس"، ومن هنا يصل (فيلون) إلى الإيمان بأن الكلمة تحتفظ بدرجة وسطى بين الله أو الإلوهية وبين المخلوق "[١٣]. وعن طريق (فيلون) انتقلت هذه النظرية الفلسفية إلى المسيحية، إذ نقرأ في بداية إنجيل (يوحنا) : " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمه الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به وبغيره لم يكن شيء مما كان"[١٤].

ويعلق (ديورانت) على ذلك فيقول : " إن ثمرة فلاح (فيلون) كانت الإصحاح الأول من إنجيل (يوحنا) "[١٥].

ولم يكن (فيلون) – الذي توفي في أواسط القرن الميلادي الأول – هو وحده القائل بفكرة "الكلمة"، فقد قال بها أيضاً الرواقيون، أصحاب المدرسة الفلسفية، التي كانت أكثر المذاهب الفلسفية تأثراً بالثقافة الشرقية[١٦]، والتي كانت أيضاً تعتبر مدرسة مجددة لفكر الفيلسوف اليوناني (هرإقليطس) [٥٤٠ – ٤٧٥ ق.م] أول فلاسفة الإغريق من قال بـ"اللوجوس"[١٧].

وقد ذهب الرواقيون إلى أن "الكلمة" هي التي تحفظ الموجودات جميعاً، أو العلة المشتركة المقومة لجميع الأشياء، بمعنى آخر هي "الإله الأكبر وهي في جميع المخلوقات ولا مخلوقة" ـ على حد قول (لويس مينار)، الذي يضيف إلى ذلك: " ويسند هذا الدور أحياناً للشمس، التي تنشيء الكائنات الحية، كالأب ينشيء الجواهر المثالية "[١٨].

وعلى مسلة مصرية، توجد الآن في (برلين)، نقش المصريون [القدامى] عبارة تدعو الشمس "بالمولود ابن الله الكلمة"[١٩].

وهناك نص آخر على باب معبد مدينة (هابو) يقول : " إنه هو الشمس الذي صنع كل ماهو موجود، ما من شيءٍ صُنع بدونه أبداً"[٢٠].

أما (فيلون) فيسمي الله بشمس الشمس، الشمس المعقولة للشمس المحسوسة.

وعلى لسان شمس مصر، الإله "رع"، جاءت العبارة : " أنا أمير ابن أمير، أنا الجوهر المقدس، الذي انبثق من الله"[٢١].

وقد استخدم رب الأرباب المصري "الكلمة" في عملية الخلق. كما أنه خلق أرض العالم عندما نطق بسبع كلمات، كونت الأرض[٢٢].

وفي عصر الأهرامات، أى قبل ٤٥٠٠ سنة، على أقل تقدير، كان الإله "بتاح" المصري قد تبوأ مكانه كخالق بقوة الكلمة. ففي هذا العصر المبكر من تاريخ مصر [والعالم أيضاً] كان المصريون يؤمنون بأن الله خلق العالم بواسطة الكلمة. كان "بتاح" قد تصور العالم في قلبه [أي عقله]، ثم نطق به لسانه، فصوره خلقاً [مخلوقاً]. وكان "بتاح" معبوداً في مدينة (منف)، عاصمة مصر المتحدة، وأعظم مدنها قاطبة على مر عصور التاريخ، وكان "بتاح" يُعرف بأنه " الإله بالغ العظمة"، وهو "رب الحق ملك الأرضين"، و"الذي رسخ الحق في الأرضين"، وهو "بتاح والد البداية" و"أبو الآباء"[٢٣].

وقد أعتبر "بتاح" أيضاً رباً شمسياً، أي مجسداً للشمس، فكان هو : " بتاح قرص الشمس، منير الأرض بنار عينيه "[٢٤].

وفي (منف) أعتبر أيضاً "بتاح" حامياً للصناع والفنانين، ونُسب إليه إختراع الفنون[٢٥].

أما الرب المصري " تحوت" – كما سيأتي فيما بعد تفصيلاً – فقد كان رباً للكتابة، تلك الكتابة لم تكن سوى كلمات مقدسة، كما أسماها الإغريق فيما بعد عن حق بالهيروغليفية، أي الخط المقدس، فهي صور وعلامات لكلمات الله، فالكلمة المكتوبة هي صورة الكلمة المنطوقة، أو كما يقول (ديمتري ميكس) و(كرستين فافرميكس) إن : " نفس علامات الكتابة تعد "بصمات" لكل ما يتضمنه الخلق، فكل كائن من الكائنات، وكل شيء من الأشياء قد أستخدم كعلامات للكتابة. وتعتبر الكلمات الإلهية – مهما تنوعت – بمثابة انبعاثات من رع ".

ويضيف الباحثان : " وربما وضع " تحوت" بياناً بهذه البصمات، وكان يستطيع أن يحصيها، وهو هنا أيضاً بمثابة الوسيط الذي يعرف القراءة، أي الذي يمكنه أن يحول الكتابة إلى كلمات، وبالتالي يرجعها إلى أصلها، إلى قوتها الأولى"[٢٦].

مثل هذه الأعمال والمهام كانت من اختصاص هذا الرب "تحوت"، الذي لم يكن رباً للكتابة فقط، بل كان يعتبر هو ذاته "الكلمة"، وكان "تحوت" أحياناً يوصف بأنه لسان أو قلب "رع"[٢٧]. وهو ما يؤكده العالم الكبير (والاس بدج) حين يقول : "في المقام الأول كان "تحوت" يمثل كلاً من قلب ولسان "رع"، بمعنى أنه يمثل القدرتين الذهنية والسببية للإله، كذلك الوسائل التي يترجم إرادتها لكلمات ".

ويشرح (بدج) دور" تحوت"، فيقول بأنه هو : " الذي يقول الكلمات التي ينتج عنها تحقيق إرادة "رع"، وهو ما يدل على أن ما كان ينطقه كان يتم بشكل أو بآخر. فـ" تحوت" هو الذي نطق بالكلمات التي نتج عنها خلق السموات والأرض"[٢٨].

وهكذا صار "تحوت" فيما بعد ممثلاً للفلسفة الأفلوطنية، كما يقول د. (بروجيش) [٢٩].

إنه هو (أفلاطون) الذي لم يكن مؤثراً في فلسفة (فيلون) وغيره فحسب، بل كانت أفكاره تمثل التيار الغالب على الحركة الفكرية في (الإسكندرية).

فإذا عدنا إلى (أفلاطون) نفسه ؛ نجده يقول عن "تحوت" أنه هو "الذي اخترع الأعداد والحساب والهندسة، وأهم من ذلك كله، أنواع الأدب ". وفي موضع آخر يضيف (أفلاطون) أن "تحوت" هو مبدع اللغة وكل العلوم[٣٠].

وكان (أفلاطون) قد وُلد في أثينا عام ٤٢٧ ق. م، ثم انتقل إلى مصر، وغادرها وعاد إليها مرة أخرى، وفي مدينة (عين شمس)، هذا المركز الديني والعلمي العظيم، تلقى (أفلاطون) دروساً في علم الفلك على يد الكهنة المصريين، ولم

يكن ليفوت (أفلاطون) الإستفادة من الدين المصري، وكذلك من أخلاق مصر ونظمها وتقاليدها، وهو ما برز في مؤلفاته فيما بعد.

وعن شواهد أثر الفكر المصري في أعمال (أفلاطون)، وفي مقدمتها "الجمهورية"، يقول (مارتن برنال) : " وفي وجود هذه الشواهد التي تؤيد اشتقاق أفكار الجمهورية من أصول مصرية، ربط العلماء المعاصرون هم الأخرون بين (أفلاطون) ومصر، وكما ذكر (ماركس) فإن جمهورية (أفلاطون)، فيما يتعلق باتخاذ تقسيم العمل أساسا تكوينياً للدولة، هي مجرد معالجة مثالية لنظام التقسيم الطبقي في مصر "[٣١].

هذا ما قاله (كارل ماركس) أحد فلاسفة العصر الحديث، أما معاصرو (أفلاطون) فكانوا لا يرون فيه مبدعاً لأفكاره في مؤلفه "الجمهورية"، بل كان مجرد ناقل له عن النظم المصرية[٣٢].

أما (أفلاطون) نفسه فقد كان مؤمناً بأن المفكرين العظام، مثل (فيثاغورس) و (سولون) و(ليكوجوس)، كانوا قد جلبوا العلوم من مصر [٣٣].

وكان (أفلاطون) أستاذاً لـ(أرسطو)، أعظم فلاسفة اليونان وأشهرهم. وكان (أرسطو) قد ولد عام ٣٨٤ ق. م، فلما بلغ سن الثامنة عشر ؛ جاء أثينا ليدرس في الأكاديمية التي أنشأها (أفلاطون)، وكما درس (أرسطو) على يد (أفلاطون)، الذي زار مصر أكثر من مرة، وأقام بها لتلقي العلم، تتلمذ أيضاً على يد (يودكسوس)، الذي أقام في مصر أيضاً، ويُروى عنه أنه كان حريصاً على حلق رأسه بانتظام، حتى يتمكن من حضور دروس كهنة "آمون"[٣٤].

وقد أعجب (أرسطو) بمصر وحضارتها إعجاباً يفوق الوصف، ويظهر مبلغ إعجاب (أرسطو) بالعقلية المصرية في اقتناعه بأن المصريين لم يطوروا الهندسة بناءً على عملية تجريبية، أي إعادة قياس الأرض بعد غمرها بماء الفيضان، بل أنهم وضعوا هذه القواعد وضعاً تنظيرياً بحتاً[٣٥].

وكان (أرسطو) يؤمن بأن مصر هي مهد الرياضيات، وأن كهنة مصر هم الذين اخترعوا تخصصات الرياضيات، أو الفنون الرياضية التي كانت تضم الهندسة والحساب والفلك[٣٦].

ظل (أرسطو) يدرس بأكاديمية (أفلاطون) حتي توفي الأخير، فذهب (أرسطو) بعد ذلك إلى أثينا. وهناك أنشأ مدرسة ومكتبة، وكان الملك (فيليب) – كما ذكرنا سابقاً – قد استقدم هذا الفيلسوف العظيم ليدرس لابنه (الإسكندر)، الذي لم يكن تجاوز الثالثة عشر من عمره، وظل (أرسطو) يقوم على أداء هذه المهمة لأربع سنوات، وهكذا لم يكن غريباً أن ينبهر (الإسكندر) الأكبر بمصر وحضارتها، ولم يكن غريباً أن ينشأ مدينة (الإسكندرية)، التي كان من منطق الأمور أن تصير درة الحضارة الإنسانية الثقافية.

الصابئة

جاء بالقرآن الكريم عن هذه الطائفة : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين و النصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة..) [٣٧].
وجاء به أيضاً عنهم : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الأخر وعمل صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)[٣٨].
وكذلك : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الأخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) [٣٩].

وعن معنى لفظ "الصابئة" يقول (الشهرستاني) : ".. في اللغة صبأ الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم صابئة "[٤٠].

والصابيء في اللغة العربية تعنى خروج المرء من دين إلى دين آخر. أما أهل هذه الطائفة أنفسهم فيقولون أن كلمة "صبأ" أرامية، وتعنى التعميد [بالماء]. ولما كان التعميد [الاغتسال بالماء] علماً على ديانتهم، وركناً أساسياً في عقيدتهم، فقد أطلق عليهم بعض الباحثين اسم : "المغتسلة"، والذي يكون مرادفاً لكلمة : "صابئة"[٤١].

وفي كتابه "الصابئة حكمهم الشرعي وحقيقتهم الدينية"، يقول آية الله العظمى، الإمام السيد (علي الخامنئي) : " ذكر بعض من تعرض للتعريف اللغوي أو التاريخي للصابئين ؛ أن اسمهم هذا مشتق من " صبأ"، بمعنى خرج، ويقال لهم الصابئي، لخروجهم من دين إلى دين. ويذكرون في وجه ذلك أموراً [راجع : التفسير للـ(رازي) وغيره، وغير واحد من كتب اللغة].
فربما يتبادر إلى الذهن أن هذا لا يتلاءم مع الانتساب إلى أصل إلهي ونبي وكتاب سماوي. وأقول :

أولاً : في مقابل هذا الوجه في تسميتهم وجه آخر، ذكره بعض الفضلاء والمحققين في رسالة كتبها في التعريف بالصابئة، وهو أن هذه الكلمة [الصابيء]، من أصل أرامي بمعنى المغتسل، وقد سموا بها لاهتمامهم بالغسل بالماء، بحيث إنه كان أحد أركان أحكامهم الشرعية، ولذا يسمون في عرف أهل الملل بالصابئة المغتسلة.

وثانياً : أمثال هذه الاعتبارات، المبنية على الحدس الظني، مما لا وزن لها في استنباط الحكم الشرعي، حتى ولو لم يذكر في وجه تسميتهم ما ذكرناه عن ذاك البعض، فإن هذه الوجوه الظنية لا تغني من الحق شيئاً "[٤٢].

ويسكن الصابئة الآن في العراق وإيران وبعض إمارات الخليج العربي، وغيرها.

ويعرف أصحاب هذه الديانة أيضاً باسم " الصابئة المندائيون"[٤٣].

والمندائي تعني من له معرفه بالعلوم الإلهية. فلفظ "مندا" يعني العلم والمعرفة، والمندائي هو العالم أو العارف [بالعلوم الإلهية][٤٤].

وقد اختلفت الأقوال في مذهب الصابئة وعقيدتهم، فمن قائل أنهم من عبدة الكواكب، ومن قال أنهم من عبدة الأصنام، ومن ذهب إلى أنهم من أهل الكتاب، ومن نفي عنهم ذلك، ومن رأى أنهم موحدون.. وإلى ما غير ذلك.

ويرد الأستاذ (جابر أحمد) على التباين في الآراء إلى سببين، فيقول : " إن اختلاف الآراء وتباينها، الذي رافق كتابات بعض المؤرخين والباحثين، يرجع إلى أن هؤلاء الباحثين لم يكونوا على دراية ومعرفة باللغة المندائية، وهي أحد فروع اللغة الأرامية ".

أما السبب الثاني فيرجعه إلى التباس وقع عند من خلطوا بين جماعتين تحملان نفس الاسم، فيقول : " وبما أن الصابئة وبعد نزوحهم من (فلسطين) قد استقروا – وقبل نزوحهم إلى العراق – في مدينة (حران)، التي كان أهلها آنذاك من الوثنيين عبدة الكواكب، من هنا حصل الالتباس بين ديانة ومعتقد الذين هاجروا إلى هذه المدينة واستقروا فيها واندمجوا في ثقافتها، مع حفاظهم علي دينهم، وفي هذا المجال يؤكد المستشرق الألماني (هـ. ويتر) في رسالة كتبها إلى السيد

(عبد الرازق الحسني) مؤلف كتاب "الصابئون في حاضرهم وماضيهم"، قائلاً : " فالمشهور عندنا لا مناسبة أصلاً بين صابئة العراق وصابئة (حران)، علي رغم اشتراك الطائفتين بالاسم "[٤٥].

ومن ضمن هؤلاء الذين التبس عليهم هذا الأمر ؛ كان (سيد قطب)، الذي يقول عن الصابئة : " إنهم على الأرجح تلك الطائفة من مشركي العرب، قبل البعثة، الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها، فاهتدوا إلى التوحيد، وقالوا أنهم يعبدون على الحنيفية الأولي ملة (إبراهيم) ".

ثم يعود (سيد قطب) ليقول بأن : " بعض التقارير تؤكد على أنهم من عبدة النجوم ". وهو نفس ما ذهب إليه أيضاً الباحث (عبد الرازق الحسني)، إذ قال بأن الصابئة من عبدة الكواكب، ولكنه تراجع عن ذلك، فقال بأن الصابئة : " يؤمنون بالخالق جل شأنه أنه أزلي أبدي، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزه عن المادة والطبيعة، ولا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، وأنه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء ومكونها، ولا يختلف اعتقادهم عن اعتقاد المؤمنين"[٤٦].

وعن عقيدة الصابئة يقول الإمام (الخامنئي) : " فمن جملة عقائدهم التي يدعونها ويصرون عليها التوحيد، فقد عقد في الكتيبة الصغيرة، التي نشروها باسم " درفش"، فصل مخصوص بالتوحيد باسم " بوثة التوحيد" [والظاهر أن "بوثة" في كتابهم تعادل القسم والفصل، كالسورة أو الآية]، ومما جاء فيها ما ترجمته بالعربية هكذا : " إلهي منك كل شيء، يا عظيم يا سبحان. يا حكيم يا عظيم، يا الله المتعال الكريم، علت قدرتك على كل شيء، يا من ليس له شبيه ولا نظير، يا راحم المؤمنين، يا منجى المؤمنين، يا عزيز يا حكيم، يا من ليس له شريك في قدرتك، أسبح باسمك.. "[٤٧].

أما (ابن النديم فيقول) : " أنه كان لهم كتاب يشتمل على مقالاتهم بالتوحيد ". وينقل عن (الكندى) " أنه وصف هذا الكتاب بأنه على غاية من التقانة في التوحيد "[٤٨].

عرفنا مما تقدم، أن الصابئة نزحوا من (فلسطين) فهل كانت (فلسطين) موطنهم الأول؟.

يقول الأستاذ (سليم برنجى) : " يعد الصابئة من الأقوام الأرامية، وكان موطنهم الأصلي مصر و (فلسطين) القديمة "[٤٩].

أما الأستاذ (سالم الحجيلي) فيقول : " إن تاريخ الصابئة قبل (فلسطين) لم يؤرخ بما فيه الكفاية، وإن توضيح هذا التاريخ يحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق والدراسة، إلا أن تاريخهم في (فلسطين) وما جاورها مبين وواضح إلى حد ما، فقد انتقل الصابئة على مراحل من أرض مصر و كنعان إلى أرض (فلسطين) "[٥٠].

ويقول (محمد محيط طباطبائي) بأن الصابئة (المندائيين) أنفسهم يرون : " أن نسبهم يصل إلى مصر، وقد اقترنت هجرتهم من مصر مع هجرة اليهود منها إلى أرض كنعان (..) واليوم فإن تلك الأقوام يُعرفون ويعرفون أنفسهم على أنهم من الأقوام السامية الكنعانية، في حين الحكايات المندائية والعبرية ترى أنهم مصريون "[٥١].

هكذا إذن – مما تقدم - نستطيع أن نرجح أن للصابئة جذوراً مصرية، أما تسميتهم بالصابئة فهي تسمية مصرية خالصة، لأن كلمة "صبا" لفظ مصري أصيل، ونستشهد في هذا الصدد بما جاء في بحث (علي فهمي خشيم)، حيث يقول : " والأصل في هذا كلمة "صبأ"، بمعنى : نجم (المصرية س ب ء)، فالصابئون هم الصبأيون، أي النجميون، عباد النجوم. غير أن تطور الدلالات، بل تبدلها، ما لبث أن لحق بالجذر صبأ فصار يعني المروق، الخروج من دين لآخر، كما تصبأ النجوم، أي تخرج من مطالعها. ولا ريب في أنه ليس من محض الصدفة أن نجد نفس الدلالات – بتطورها – في المصرية كما في العربية، فنقرأ : سبا = نجم، وسبا = يعلم، وسابيت = تعليم، وسب = تلميذ، وسبا = يثور – يتمرد (يصبأ) "[٥٢].

أما رسائل "إخوان الصفا" فتدلنا علي المصدر الذي استقى منه الصابئة علومهم، فتقول : " وقد أخذوا أصول علومهم من السريانيين وعن المصريين، وقد كان رؤساء أوائلهم (عاذيمون) و(هرمس) [٥٣].

وهكذا نستطيع أيضاً أن نقول أن هؤلاء أخذوا علومهم عن المصريين والسريانيين، وإن من "رؤسائهم الأوائل" كان (هرمس)، كما جاء في رسائل إخوان الصفا.

وقد أشار (القفطى) إلى (هرمس) في كتابه " تاريخ الحكماء"، فقال بأنه خرج من مصر وجاب الأرض كلها، ثم عاد إليها ورفعه الله بها (...) وأنه دعا إلى دين الله، والقول بالتوحيد وعبادة الخالق، وتخليص النفوس من العذاب في الأخرة بالعمل الصالح "[٥٤].

وقد تم العثور على كتب لـ(هرمس) عام ١٩٣٠ في أرض مصر[٥٥]. وعن هذه الكتب الهرمسية ؛ يقول (لويس مينار) بأنها الآثار الوحيدة المعروفة التي يمكن تسميتها بالفلسفة المصرية"[٥٦].

أما (مرسيا إلياد) فيقول : " إن الأدب الهرمسي بممثليه وديكوره وأساطيره ؛ يبدو مصرياً خاصة بالنسبة للنصوص القديمة "[٥٧].

وقد نُسب إلى (هرمس) عدد كبير من الكتب والرسائل، يبدو أنها مؤلفات اشترك العديد من الكهنة في كتابتها باسم (هرمس)، أو كما يقول (جامبليك) : " (هرمس) الذي يدبر الكلام، هو حسب التقليد القديم مشترك في كل الكهنة، وهو الذي يقود إلى العلم الحقيقي، وأنه واحد في الكل، ولهذا أسندوا إليه كل الاكتشافات، ووضعوا أعمالهم تحت الاسم (هرمس) "[٥٨].

ويؤيد (غاليان) أيضاً وجهة النظر هذه، ويضيف أن الكهنة كانوا يكتبون على الأعمدة نصوصاً يغفلون اسم مؤلفها. " وكانت أعمدة (هرمس) تلك المسلات النصب التي كانت الكتب الأولى قبل اختراع البردي "[٥٩].

ويقول الأستاذ (عبد الهادي عباس) : " والمعروف الآن هو أن (هرمس) المثلث العظمة هو المؤلف الوهمي للكتب التي تعرف بالكتب الهرمسية، وعلي الأخص

للمجموعة الأولى التي وصلتنا، والتي تعرف باسم الأول منها " بوامندريس"، ويزعم أن الإله المصري " تحوت"، المعروف بـ " تحوت الأكبر"، هو مؤلف تلك الكشوف الفلسفية. وهو يظهر في بعض الكتب بصفته واحداً من المتحاورين "[٦٠].

هكذا نُسبت هذه المؤلفات الفلسفية إلى ابن مصر العظيم " تحوت"، الذي كان رباً للمعرفة، فلا غرو إذن أن يكون من "أوائل رؤساء" الصابئة، الذين جعلوا " المعرفة" علماً علي عقيدتهم.

وقد روى (أحمد بن الطيب السرخسي) أنه نظر في كتاب يقربه هؤلاء [يقصد الصابئة الحرانية] وهو مقالات لـ(هرمس) الحكيم في التوحيد، كتبها لابنه على غاية التقانة، ولا يجد الفيلسوف إذا أتعب نفسه مندوحة عنها والقول بها، وهذا الكتاب هو وصايا (هرمس) الحكيم الذهبية، ترجمها (ثابت ابن القرة) إلى العربية"[٦١].

و(ثابت بن قرة) كان واحداً من أعظم فلاسفة الصابئة، الذي امتد أثره إلى جميع فلاسفة المسلمين[٦٢]. وقد ذكر (ابن العبري) مؤلفات الفيلسوف الصابئي[٦٣]. نستطيع أن نعقد بينها وبين إنجازات "تحوت" المقارنات التالية :

إنجازات "تحوت" المصري	**مؤلفات ثابت بن قرة**
كان "تحوت" هو الذي اخترع : الأرقام والرياضيات والجبر والمساحة الطب	الرياضيات والمنطق والطب
ابتكر الأشكال والحروف الأبجدية وفن القراءة والكتابة والخطابة بكل فروعها	السريانية
كان "تحوت" أول من وضع نظاماً كهنوتياً وأنشأ عبادة الإله وهو الذي ألف التسابيح	الرسوم والفروض والسنن أوقات العبادات وترتيب القراءة في الصلاة

والصلوات وحدد طقوسها	تقديم القرابين وما يصلح منها من
وصيغة القرابين والضحايا	الحيوان للضحايا وما لا يصلح

أما عن مؤلفات "تحوت" فيقول (كليمنت السكندري) أن كتب "تحوت" تعدت الاثنين والأربعين كتاباً، وأنها قسمت على ستة أقسام :

- فالكتب من الأول للعاشر : تتناول القوانين والآلهة وتعليم الكهنة.
- والكتب من الحادي عشر حتى العشرين : تناقش عبادات الآلهة، بمعنى القرابين والضحايا وأشكال العبادة.... إلخ.
- والكتب من الحادي والعشرين إلى الثلاثين : تختص بتاريخ العالم والجغرافيا والهيروغليفية.
- أما الكتب من الواحد والثلاثين إلى الرابع والثلاثين فهي مؤلفاته عن التنجيم، والكتابان الخامس والسادس والثلاثون يحتويان على تجميع للمؤلفات الدينية، والكتب من السابع والثلاثين وحتي الثاني والأربعين فقد خصصت للطب[٦٤].

وكان " تحوت" يتمتع في الحضارة المصرية بمكانة سامية ونادرة، وكان رباً للحكمة والمعرفة، وكذلك رباً للقمر. وتقول إحدى الأساطير أن " تحوت" انبثق من رأس "ست"، مما يمكن فهمه على أن النور – متمثلاً في رب القمر "تحوت" – قد خرج من الظلام، الذي يجسده الرب "ست".

وكان لاختفاء القمر التدريجي وعودته على نفس الصورة يمثل أهمية كبيرة لدى المصريين، الذين أوجدوا علاقة بينه وبين "تحوت"، فجعلوا الأخير "سيد الزمان"، و"حاسب السنين"، ولذلك - ولمقدرة "تحوت" في الحساب- كان هو الذي قام بعملية قياس السموات، وإحصاء ما فيها من نجوم وأجرام، فحدد أزمنتها وفصولها، وفعل نفس الشيء بالنسبة للأرض، فهو الذي أوكلت إليه مهمة رعاية قوانين " ماعت" - الحق والعدل – ذلك الناموس الذي يعد أساسا للكون وحافظاً له. [٦٥]

وكما كان "تحوت" رباً للزمان كان أيضاً سيداً للكلمة، وكان بذلك راعياً للكتبة، وقد صُور في الدولة الحديثة على هيئة كاتب جالس. وكان أيضاً مختصاً بكتابة رسائل الآلهة[٦٦].

وكان لـ"تحوت" منزلة غريبة في الفكر الديني المصري، إذ كان يعتبر قلب "رع" ولسانه، والقلب [العقل] كان هو الفكر، أما اللسان فكان يمثل المقدرة على الخلق. أو كما يقول (والاس بدج) : " كان "تحوت" يمثل كلاً من قلب ولسان "رع"، بمعنى أنه يمثل القدرتين الذهنية والسببية للإله، كذلك الوسائل التي يترجم بها إرادته لكلمات – من هذا المنظور كان يعتبر هو نفسه "الكلمة". "[٦٧]

وفي أزمنة لاحقة أصبح "تحوت" يمثل "الأفلاطونية"، كما يقول د. (بروجيش) [٦٨]. ولكل هذه الصفات والمقدرة الفذة صار لـ"تحوت" دور عظيم في العالم الأخر، فهو القائم علي ميزان "أوزريس"، فـ"تحوت" هو صاحب " ماعت"، التي اقترن بها واقترنت به.

وكان مركز عبادة "تحوت" هو مدينة (الأشمونين)، أو (خمن) بالمصرية، التي أسماها اليونانيون (هرموبوليس)، أي "مدينة (هرمس)".

ومن هذه المدينة جاءت نظرية "خروج الحياة من الماء"، وعن هذه النظرية نقتطف الفقرة التالية، من كتاب "الحياة اليومية للآلهة الفرعونية" :

".. عند منشأ العالم، قام المحيط الأولي " نون"، الملقب بـ"أبي الآلهة"، بخلق جلالته، أي الشمس الأعظم، وهو لا يحكم، وإن كان انفصام رب الأرباب عن مياهه قد خلق في داخل كيانه مفهوم التنظيم، أي مفهوم الملك. وكان "أتوم" هو أول من مارس هذه المهام التي تسمي بـ"وظيفة أتوم"، وخلال فترة حكمه برد الهواء وجفت الأرض، وبالفعل فإن بعض الروايات تقول أن الأراضي قد خُلقت عن طريق التسخين.. وبإطلاقها لنيرانها كونت الشمس عين رب الأرباب الخالق، إحدى أشكال "أتوم"، وهي من العناصر التي كونت التربة الأولى.."[٦٩].

وعن نفس المسألة تقول الصابئة : " إن الأرض في البداية كانت في حالة سائلة وتبدو ككرة نارية، ولا يوجد عليها أثر للحياة، وظهر على سطحها ماء متعفن يسمى "مياسياوي"، حيث ظهر من هذا الماء العفن كائنات صغيرة تولد منها آلاف الأنواع "[٧٠].

وكان الماء [الجارى] يمثل ركناً أساسياً من أركان العقيدة الصابئة، فقد ارتبطت هذه العقيدة بالماء ارتباطاً وثيقاً أبدياً، " بحيث لا يمكن لنا تصور وجود ديانة للصابئة دون وجود الماء الجاري، لأن جميع أركان عبادات الديانة تتم في الماء "[٧١].

ويقول الصابئي : " لا أمارس طقوسي بالنار، ولست يهودياً ولا مسيحياً، ولكني أمارسها بالماء الجاري الذي وهبه من أجل نظافة البشر ومنحهم الحياة "[٧٢].

ومن المناظر الشائعة في معابد مصر ؛ صور لـ"تحوت" وهو يقوم بصب الماء على الملك، قبل دخوله إلى المعبد، وكان التطهر بالماء شرطاً من شروط دخول المعبد[٧٣]. كما كان المعبد المصري يحتوى على بحيرة ماء مقدسة.

ويذكر (هيرودوت) أن الكهنة المصريين كانوا يتطهرون بالماء أربعة مرات كل يوم، كما كانت الطقوس التي تجري في المعبد تبدأ بغسل الكاهن ليديه[٧٤].

ويبدو أن طقس التطهر بالماء موغل في القدم، فلوحة (نارمر) الشهيرة، بالمتحف المصري، والتي يعود تاريخها إلى ٣٢٠٠ قبل الميلاد، تظهر الملك وقد مضى خلفه رجل يحمل نعل الملك بيد وفي يده الأخرى يتدلى إبريق ماء.

وهو ما تنص عليه أيضاً متون الأهرام : " تقديم المياه إلى الموتى، المياه لكلي تغسل يديك، أغسل يديك يا أوزير "[٧٥]..

وكان المصريون القدامى يعتبرون الحرمان من الاغتسال بالماء حرماناً من بركة الله.

والأحناف هم أيضاً الصابئة، كما جاء في رسائل إخوان الصفا : " وهؤلاء لهم عند الناس أسماء مختلفة، فمنها الصابئون والحرانيون والحنوفون"[٧٦].

والحنوفون هم الأحناف، فهم أيضاً صابئون، فقد ولد لفظ "حنف" في النصوص العربية الجنوبية بمعنى صبا[٧٧].

ويذكر الأستاذ (محمد عبد الحميد) أنه قد جاء من كتاب الصابئة المندائية أن هؤلاء : " جاءوا إلى بطائح البصرة من مدينة (حران) وما حولها من جبال ماداي، حيث الينابيع الساخنة في الشتاء والباردة في الصيف. وهذا الوصف

ينطبق على منابع نهر البلخ، التي يسميها العرب بعين الذهابانية، والتي ندعوها اليوم عين عروس، حيث مقام (إبراهيم) الخليل "[٧٨].

هكذا سعي الأحناف (الصابئون) إلى نبع الماء، وإلى مقام (إبراهيم) الخليل أيضاً، فإذا كان الماء هاماً لطقوس عبادتهم فقد كان (إبراهيم) الخليل نبيهم.

يقول د. (عماد صباغ) : " إن في جميع المصادر التاريخية التي أتت على ذكر "حنفاء الجاهلية" ؛ ورد ذكر هؤلاء من حيث أنهم على دين (إبراهيم)، كما أن الحنفاء أنفسهم أمدوا هذه النقطة من خلال أدبهم الشعري والخطابي "[٧٩].

ومن كل ما تقدم نستطيع أن نخلص إلى أن "الصابئين" ليسوا "يهوداً ولا مسيحيين"، بل ينتمون إلى الحضارة المصرية – أصلاً وفكراً -، وهم أحناف موحدون، تقوم عبادتهم على التطهر. ونضيف إلى ذلك أن كلمة "حنف" كلمة مصرية [قديمة] تعني : الموحد المتط

ملة إبراهيم

تمتع (إبراهيم) الخليل في الإسلام بمكانة رفيعة، فيقول الله عز وجل في سورة النحل : (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين) [٨٠].

وكان (محمد) نبي الإسلام (ص) على ملة (إبراهيم) عليه السلام : (قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) [٨١].

والإسلام هو ملة (إبراهيم) : (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) [٨٢].

وبطبيعة الحال لم يكن (إبراهيم) الخليل يهودياً أو مسيحياً، وهو ما يحتج به القرآن : (يا أهل الكتاب لم تحاجون في (إبراهيم) وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علمٌ فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) [٨٣].

وكان (تارح) عجوزاً في الخامسة والسبعين ؛ عندما رزق بولده (إبراهيم)، ويمتد نسب (تارح) وكذلك زوجته [أم (إبراهيم)] (أميلة) أو (بونا) إلى (نوح)[٨٤].

وتزوج (إبراهيم) من (سارة)، التي كانت عاقراً. وارتحل (إبراهيم) مع أهله : " فخرجوا معاً من (أور) الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا (حاران) وأقاموا هناك"[٨٥].

وتحدد التوراة عمر (إبراهيم) عندما خرج من (حاران) مهاجراً إلى أرض كنعان ؛ بخمس وسبعين سنة.

ثم كان أن حدثت مجاعة فهاجر (إبراهيم) إلى مصر : " وحدث جوع في الأرض فانحدر (إبرام) [إبراهيم] إلى مصر"[٨٦].

ويبدو أن (سارة) كانت تتمتع بجمال فائق، لأنه حدث : "لما دخل (إبرام) إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدي فرعون. فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون "[٨٧]. " فصُنع إلى (إبرام) خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال "[٨٨].

وبعدئذ عاد (إبراهيم) وأهله إلى أرض كنعان : " فصعد (إبرام) من مصر هو وامرأته وكل ما كان له و(لوط) معه إلى الجنوب"[٨٩].

وكان أن تزوج (إبراهيم) (هاجر) المصرية، التي أنجبت له ولداً : " وتدعين اسمه (إسماعيل) لأن الرب قد سمع لمذلتك"[٩٠]. وكان لـ(إبراهيم) ست وثمانون سنة عندما رزق بابنه البكر (إسماعيل)، فلما بلغ التاسعة والتسعين ظهر له الرب ليعقد معه عهداً : " وقال الله لـ(إبراهيم) وأما أنت فتحفظ عهدي"[٩١]. وحرص الرب أن يكون لهذا العهد علامة، صارت فيما بعد سنّة للمؤمنين بملة (إبراهيم)، ولم تكن هذه العلامة سوى : "الختان" : "يختن كل منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم "[٩٢]. فاختتن (إبراهيم)، كما حرص على ختان ابنه البكر (إسماعيل) من (هاجر)، وكان في الثالثة عشر من عمره.

يقول (ابن كثير) : " وعند أهل التوراة أن (إبراهيم) أمره الله بأن يختن (إسماعيل)، وكل من عنده من العبيد وغيرهم، فختنهم، وذلك بعد تسع وتسعين سنة من عمره، فيكون عمر (إسماعيل) يومئذ ثلاث عشرة سنة "[٩٣].

ويبارك الرب (إسماعيل) : " ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة "[٩٤].

ثم كان أن رُزق (إبراهيم) ولداً ثانياً، أنجبته هذه المرة زوجته (سارة)، ودعي "إسحق".

وقصة (إسماعيل) معروفة، وإن كانت تميزها أحداث هامة، منها مسألة ختانه، وهي سنّة أجداده لأمه المصرية، والتي فرضها "الرب" على (إبراهيم) ونسله

بعد زيارته لمصر، وصارت علامة العهد الإلهي : " فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. أنه قد نكث عهدي"[٩٥].

ولم ينكث (إسماعيل) العهد، بل صار" الختان" سنّة مفروضة في نسله من بعده وإلى الآن.

وثاني الأحداث الهامة في قصة (إسماعيل) هو طرده وأمه المصرية، فقد : ".. رأت (سارة) ابن (هاجر) المصرية الذي ولدته لـ(إبراهيم) يمزح. فقالت لـ(إبراهيم) أطرد هذه الجارية وابنها "[٩٦].

فلما لم يلق كلام (سارة) هوى في نفس (إبراهيم) ؛ تدخل الرب فقال له : " في كل ما تقول لك (سارة) اسمع لقولها"[٩٧]. " فبكر (إبراهيم) صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لـ(هاجر) واضعاً إياهما على كتفه والولد وصرفها "[٩٨].

ومضت (هاجر) وولدها في الصحراء حتى نفذ الماء، وأشرف ابنها على الهلاك. فبكت الأم.. فناداها ملاك : "لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو.. قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء"[٩٩].

وسكن الولد وأمة هناك.. في الصحراء.

ويبدو أن " (هاجر)" – رغم ما مرت به من مآس – كانت حريصة على التشبث بوطنها وحضارتها.. حتى أنها زوجت (إسماعيل) من فتاة مصرية، وهو ما نصت عليه التوراة : " وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر"[١٠٠].

وهكذا كان "(إسماعيل) جد العرب" ابناً لمصرية، ثم تزوج مصرية. وأنجب (إسماعيل) وكثر نسله واتصل، حتى امتد إلى (محمد) بن (عبد الله) (ص) نبي الأمة الإسلامية.

وهناك حدث ثالث وقع لـ(إسماعيل) مع أبيه، وإن كانت التوراة تنسبه إلى إسحق، وهو اعتزام (إبراهيم) [عليه السلام] ذبح ابنه، تنفيذاً لمشيئة الله : (وقال إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين. رب هب لي من الصالحين. فبشرناه بغلامٍ حليم. فلما بلغ معه السعي قال يا

الهـوامـش

١ ـ الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة	موريس بوكاي
٢ ـ المرجع السابق	
٣ ـ الحضارة المصرية القديمة	الأستاذ سليم حسن
٤ ـ مصر في عصر البطالمة	د. إبراهيم نصحي
٥ـ المرجع السابق	
٦ ـ الحضارة المصرية القديمة	الأستاذ سليم حسن
٧ – صابئة حران	محمد عبد الحميد الحمد
٨ ـ الصابئة المندائيون	سليم برنجي
٩ ـ الفكر المصري في العصر المسيحي	د. رأفت عبد الحميد
١٠ – تاريخ الفلسفة اليونانية	يوسف كرم
١١ـ المرجع السابق	
١٢ـ المرجع السابق	
١٣ ـ الفكر المصري في العصر المسيحي	د. رأفت عبد الحميد
١٤ـ إنجيل يوحنا الإصحاح (١) آيات (١ : ٢ : ٣)	
١٥ ـ الفكر المصري في العصر المسيحي	د. رأفت عبد الحميد
١٦ – تاريخ الفلسفة اليونانية	يوسف كرم
١٧ – المرجع السابق.	
١٨ ـ هرمس	لويس مينار
١٩ ـ المرجع السابق	
٢٠ ـ المرجع السابق	
٢١ ـ آلهة المصريين	والاس بدج
٢٢ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية	ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٢٣ ـ آلهة المصريين	والاس بدج
٢٤ ـ المرجع السابق	
٢٥ ـ معجم المعبودات والرموز	مانفرد لوركر
٢٦ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية	ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٢٧ ـ آلهة مصر العربية	علي فهمي خشيم
٢٨ ـ آلهة المصريين	والاس بدج
٢٩ ـ المرجع السابق	
٣٠ – تاريخ الفلسفة اليونانية	يوسف كرم
٣١ ـ أثينا السوداء	مارتن برنال

٣٢ - المرجع السابق
٣٣ - المرجع السابق
٣٤ - المرجع السابق
٣٥ - المرجع السابق
٣٦ - المرجع السابق
٣٧ - سورة الحج آية (١٧)
٣٨ - سورة المائدة آية (٦٩)
٣٩ - سورة البقرة آية (٦٢)
٤٠ - الفصل في الأهواء والملل والنحل الشهرستاني
٤١ - الصابئة المندائيون سليم برنجي
٤٢ - الصابئة وحكمهم الشرعي وحقيقتهم الدينية آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامئني

٤٣ - الصابئة المندائيون سليم برنجي
٤٤ - المرجع السابق
٤٥ - المرجع السابق
٤٦ - المرجع السابق
٤٧ - الصابئة وحكمهم الشرعي وحقيقتهم الدينية آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامئني

٤٨ – صابئة حران محمد عبد الحميد الحمد
٤٩ - الصابئة المندائيون سليم برنجي
٥٠ - المرجع السابق
٥١ - المرجع السابق
٥٢ - آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم
٥٣ – صابئة حران محمد عبد الحميد الحمد
٥٤ - هرمس لويس مينار
٥٥ - المرجع السابق
٥٦ - المرجع السابق
٥٧ - المرجع السابق
٥٨ - المرجع السابق
٥٩ - المرجع السابق
٦٠ - المرجع السابق
٦١ – صابئة حران محمد عبد الحميد الحمد
٦٢ - المرجع السابق
٦٣ - المرجع السابق

٦٤ - آلهة المصريين والاس بدج
٦٥ - المرجع السابق
٦٦ - المرجع السابق
٦٧ - المرجع السابق
٦٨ - المرجع السابق
٦٩ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٧٠ – الصابئة المندائيون سليم برنجي
٧١ - المرجع السابق
٧٢ - المرجع السابق
٧٣ - هرودوت
٧٤ - المرجع السابق
٧٥ - آلهة المصريين والاس بدج
٧٦ – صابئة حران محمد عبد الحميد الحمد
٧٧ - المرجع السابق
٧٨ - المرجع السابق
٧٩ - الأحناف عماد صباغ
٨٠ - سورة النحل آية (١٢٠)
٨١ - سورة الأنعام آية (١٦١)
٨٢ - سورة البقرة آية (١٣٥)
٨٣ - سورة آل عمران آيات (٦٥ – ٦٧)
٨٤ - قصص الأنبياء ابن كثير
٨٥ - سفر التكوين الإصحاح (١١) آية (٣١)
٨٦ - المصدر السابق الإصحاح (١٢) آية (١٠)
٨٧ - المصدر السابق الإصحاح (١٢) آية (١٤) و(١٥)
٨٨ - المصدر السابق الإصحاح (١٢) آية (١٦)
٨٩ - المصدر السابق الإصحاح (١٣) آية (١)
٩٠ - المصدر السابق الإصحاح (١٦) آية (١١)
٩١ - المصدر السابق الإصحاح (١٧) آية (٩)
٩٢ - المصدر السابق الإصحاح(١٧) آية (١٠) و(١١)
٩٣ - قصص الأنبياء ابن كثير
٩٤ - سفر التكوين إصحاح (١٧) آية (٢٠)
٩٥ - المصدر السابق إصحاح (١٧) آية (١٣) و(١٤)
٩٦ - المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (١٠)
٩٧ - المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (١٢)
٩٨ - المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (١٤)

٩٩ ـ المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (١٨) و (١٩)
١٠٠ ـ المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (٢١)
١٠١ ـ سورة الصافات آيات (٩٩ – ١٠٢)
١٠٢ ـ سورة الصافات آية (١٠٢)
١٠٣ ـ سورة الصافات آية (١٠٤) و(١٠٥)
١٠٤ ـ الكامل في التاريخ ابن الأثير
١٠٥ ـ قصص الأنبياء ابن كثير
١٠٦ ـ الكامل في التاريخ ابن الأثير
١٠٧ ـ المصدر السابق